

ماستر 1 تاريخ الغرب الإسلامي

مقياس التاريخ السياسي للأندلس

المحاضرة 7، عهد الأسرة العامرية في الأندلس

هي أسرة عربية يمنية من قبيلة المعافر دخل الجد الأول عبد الملك الأندلس مع طارق بن زياد في عمليات الفتح، ونزل بالجزيرة الخضراء، وبرزت هذه الأسرة بالأندلس وشغلوا مناصب هامة منهم القضاة والولاة والعلماء، وصاروا يُعرفون ببني أبي عامر نسبة إلى جدهم أبي عامر محمد بن الوليد، وكان من هؤلاء عبد الله والد محمد بن أبي عامر، حيث كان من أهل الدين والزهد، تزوج من امرأة من بني تميم فهي أيضا أسرة عربية معروفة بقرطبة. وقد تمكنت هذه الأسرة العامرية من السيطرة على الأندلس في عهد الدولة الأموية لفترة زمنية ليست بالقصيرة ويطلق عليها لدى بعض المؤرخين بالدولة العامرية نسبة لهذه الأسرة.

1- محمد بن أبي عامر (المنصور):

هو محمد بن عبد الله بن عامر بن محمد بن الوليد بن يزيد بن عبد الملك بن عامر المعافري ولد سنة 327 هـ - 940 م وكان حسن النشأة، درس الأدب والفقه والحديث، أخذ عن اللغوي أبي علي القالي وأبي القرشي وابن القوطية، كان منذ حدثه طموحا ذا همة عالية يتوقع لنفسه مستقبلا عظيما يحلم بالمناصب العليا والقيادة والريادة.

وقد فتح دكانا عند باب قصر الخليفة ليكتب فيه للناس الطلبات والعرائض والشكاوى للخليفة. وبسبب مهارته وذكائه أعجبت به صبح زوجة الخليفة و استخدمته لإدارة أملاكها فأظهر كفاءة كبيرة في عمله فتوسط لدى الخليفة الحكم من أجل ترقيته ليصبح وكيل لولي العهد عبد الرحمان، و بعدها ولاء الحكم أمانة دار السكة ثم ولاء قضاء بعض النواحي، ثم عهد إليه بالإشراف على أموال الزكاة و الموارد في إشبيلية، ثم صاحب الشرطة ثم صار بعد وفاة ولي العهد عبد الرحمان مدير أملاك الأمير هشام الذي سيصبح خليفة.

وهكذا في سنوات قليلة، وبفضل ذكائه ومواهبه وبفضل ما كانت تمده به صبح أم هشام ترقى في سلم الوظائف، فبعد جلوس هشام الثاني على عرش الخلافة أمر بتقليد وزير أبيه الأقرب جعفر بن عثمان

المصحفي منصب الوزارة، وفي الوقت نفسه أمر بترقية محمد بن أبي عامر إلى منصب الوزارة، وهنا تبدأ حياته كرجل ساسي واداري كبير في الدولة.

وجد بن أبي عامر طريقا شاقا أمامه للوصول إلى أهدافه، ومن أبرز تلك العقبات صقالبة القصر، فقرر ضربهم ببعضهم البعض والتخلص من نفوذهم معتمدا على بث التفرقة بين الصقالبة والحاجب المصحفي، هذا الأخير الذي قتل منهم الكثير ونفي البعض منهم. وبالتالي ضعف صف الصقالبة، ومن جهة أخرى قام ابن أبي عامر باستمالة الكثير منهم إلى جانبه، كما استمال بعض البربر فاتخذ منهم حرسا خاصا به وأستعملهم في قهر أعدائه.

بعد التخلص من كبار الصقالبة كان لابد من إزالة المصحفي الذي لا يزال الرجل الأول والمهيمن على السلطة ومن أجل ذلك اقترب المنصور من القائد غالب بن عبد الرحمن قائد الجيش وأمير الثغور الذي كانت له مكانة هامة في الدولة فتزوج المنصور ابنته و أصبح ذلك الجيش في يده، ثم نسب إلى المصحفي تهما كثيرة مما دفع بالخليفة الى عزله سنة 376 هـ، ثم أمر بعد ذلك بسجنه و قتل في السجن. وبهذا لم يبق أمام ابن أبي عامر إلا القائد الأندلسي الأموي غالب، فرغم المصاهرة بينهما إلا أن المنصور استخدم قائد اخر وهو جعفر بن علي بن حمدون المعروف بالأندلسي الذي كان من قادة البربر في المغرب وتمكن بالتعاون مع جند الأندلسي بالقضاء على غالب بن عبد الرحمن 371 هـ وبعد أن تخلص من هذا الفارس الشعاع تحول الى قائد الجند المغربي جعفر بن علي بن حمدون وقضى عليه باستخدام بعض جنوده.

وحتى السيدة صبح أم هشام التي أوصلت ابن أبي عامر الى هذا المنصب، لم تسلم من بطشه فعندما منع ابنها من ممارسة سلطته حاولت التخلص منه لكنه تظن للمكيدة ووضعها تحت الإقامة وأحاط قصرها بالجواسيس، وهكذا تخلص ابن أبي عامر من خصومه وفق مبدأ الغاية تبرز الوسيلة، وبعد هذا الانتصار تلقب بالمنصور سنة 371 هـ، وكتب اسمه على النقود وأصبح يدعو له على المنابر بعد الدعاء للخليفة.

- سياسته الخارجية:

1 مع الممالك المسيحية : استأنف المنصور عهد الجهاد حيث غزا عدة مرات الممالك المسيحية و كان يقود جيوشه بنفسه ، وقد بلغت هذه الغزوات سبعا وخمسين غزوة على مدى حكمه الذي استمر حوالي خمسا و عشرين سنة ،وقد انتصر في كل هذه الغزوات التي كانت في جبهات متعددة في قشتالة وليون وقطالونيا و أنزل بهذه الأقاليم خسائر كبيرة ، وبهذه السياسة اكتسب المنصور شعبية كبيرة داخل الأندلس و سكان الثغور الذين اعتبروه حامي الحدود من الخطر الاسباني .

2 سياسة المنصور تجاه بلاد المغرب: سار المنصور على نفس سياسة عبد الرحمن الناصر و الحكم المستنصر التي تقوم على ضرورة الاحتفاظ بالعدوة المغربية تحت السيطرة الأندلسية ليكون خط دفاعي أمامي، و مواجهة الخطر الفاطمي الشيعي في الساحل الغربي للأندلس وقد نجح المنصور في ذلك نجاحا كبيرا لم يبلغه أحد من قبل اذ دخل في الطاعة الأموية كل البلاد المغربية الممتدة من سجلماسة جنوبا الى تلمسان و تاهرت شرقا .

لقد واجه المنصور عدة حركات استقلالية في المغرب كانت تهدف الى التخلص من الحكم الأموي

أول هذه الثورات كانت سنة 369هـ / 979 م بقيادة الأمير بلكين بن زيري الصنهاجي حليف الفاطميين الذي قام بالهجوم على سبتة لكن جيش المنصور قام باستعادتها ورجع بلكين الى وطنه. أما الثورة الثانية فكانت 375هـ / 985م بقيادة الأمير الادريسي الحسن بن جنون الذي حرضه الخليفة الفاطمي على استرداد ملك آبائه الأدارسة بالتعاون مع العلويين و بعض القبائل الزناتية ، الا أنه لم يستطيع الصمود أمام جيوش المنصور و رغم استسلامه و طلبه للأمان الا أن المنصور رفض هذا الطلب و قتله .

أما الخطر الثالث فكان بقيادة الزعيم المغربي زيري بن عطية المغراوي الزناتي سنة 386هـ / 996م و الذي كان قد ساعد المنصور على اخماد ثورة العلويين فولاه المنصور حكم بلاد المغرب الا أن رغبته في الاستقلال عن الدولة الأموية في الأندلس جعلته يثور ضد المنصور ، ثم قام بطرد عمال ولات المنصور من جميع الأقاليم باستثناء طنجة و سبتة و مليلية المطلة على المضيق ، ولهذا أرسل المنصور جيشا

بقيادة مملوكه واضح الصقلي الا انه انهزم سنة 381هـ فاضطر المنصور الى حشد جميع جيشه إلى الجزيرة الخضراء ، ثم أرسل حملة ثانية بقيادة ابنه عبد الملك المظفر الذي تمكن من القضاء على هذه الثورة سنة 389 هـ 999م و بفضل هذا الانتصار عاد المغرب الى الخضوع للسيطرة الاندلسية

إنجازات المنصور بن أبي عامر:

رغم أن المنصور لم يكن صاحب السلطان الشرعي لدولة الإسلام في الأندلس الا أن هذا لم يمنع من اهتمامه بجوانب متعددة لخدمة مصلحة الدولة وتفقد أمورها ومن أجل ذلك أوكل مهام الدولة الى رجال يثق بهم، وكان يراقب أعمالهم بنفسه ويبحث بعيونه الى جميع النواحي ليطلع على كل كبيرة وصغيرة،

ومن أهم أعماله اهتمامه بتنظيم الجيش حيث نظمه على أساس و حدة نظامية متماسكة خاضعة لقيادته فألغى العنصرية في ترتيب الجيش كما ألغى النظام الإقطاعي العسكري، فبعدما كان الجيش قبل عهده يتكون من نظامين، نظام عسكري دائم منظم ونظام إقطاعي عسكري تمثله القبائل العربية و البربرية، فقد جعل الجيش كله نظاميا دائما يتكون من فرق متعددة حيث فرق جند القبيلة الواحدة في صفوف مختلفة ، وجعل كل جندي يتقاضى مرتبا شهريا من الدولة ، وتمكن بفضل هذا الجيش من تحقيق انتصارات حربية كثيرة ضد الاسبان اشرفنا لها سابقا .

وبصفة عامة فان المنصور بن أبي عامر كان من أعظم الرجال فقد قام بما لم يقم به أحد في تاريخ الإسلام، فقد استولى على السلطة مستغلا مجموعة من الظروف منها ضعف الحكم المستنصر ورغبته في تولية ابنه هشام اضافة الى عدم قدرة الحاجب المصحفي على القيام بدور الوصي ثم ضعف أعمام ولي العهد وقلة تجربتهم السياسية اضافة الى سيطرته على صباح أم هشام.

ومن جهة أخرى فقد ملك المنصور من القوة العسكرية ما لم يملكه أحد غيره في الأندلس تمكن بها من نشر الذعر و الملح في قلوب النصارى في الشمال، الا أن هذا الرجل كان لا يتورع في ارتكاب الجرائم في سبيل تحقيق أهدافه، وتوفي المنصور سنة 392هـ /1002م أثناء خروجه في حملة ضد النصارى و دفن في مدينة سالم ،

2 أبناء المنصور:

1 عبد الملك المظفر: 322-399هـ / 1002-1009م : بعد وفاة المنصور في 27 رمضان 392هـ 1002م وموته تنفس ملوك إسبانيا المسيحية الصعداء و غمرتهم الفرحة لأنه نشر في قلوبهم الرعب و الفرع ، وتولى الحجابة بعده ابنه عبد الملك الذي تلقب بالمظفر سيف الدولة وأقره الخليفة هشام الذي استمر داخل قصره محجوبا عن الناس .

وأول ما افتتح به المظفر عهده هو القضاء على حركة الفتيان الصقالبة الذين حاولوا استرجاع نفوذهم القديم فقضى عليهم ونفي بعضهم إلى سبتة، ومن جهة أخرى قام بتخفيض الضرائب والحرص على اظهار العدل و حماية الشرع و نصرة المظلوم، والتقرب من الأولياء والصالحين و العلماء والفقهاء فاجبه الناس وقدموا له الطاعة.

أما في مجال السياسة الخارجية فقد سار المظفر على سياسة أبيه الحازمة في العدو المغربية مما جعل زعماء زناتة يسارعون الى مبايعته والدعاء له وللخليفة هشام المؤيد على المنابر فقرّبهم إليه واستخدمهم في جيشه كما كافأ المعز بن زيري بن عطية المرغراوي وولاه حكم المغرب.

ومن جهة أخرى فقد اتبع سياسة والده أيضا الجهادية ضد ممالك النصرانية في الشمال فغزا بلادهم سبع غزوات كانت عبارة عن ضربات قصيرة المدّة، فقد غزا قطلونية و برشلونة سنة 393هـ 1003م و أرغم أميرها على طلب الصلح في صيف 395هـ 1005م ثم غزا أراضي ليون و قشتالة و لكنه مرض في غزوته الثالثة لقشتالة حيث أصابه التهاب رئوي و توفي في 16 صفر 399هـ/1008م بعد حكم دام سبع سنوات .

و بعد وفاة المظفر خلفه أخوه عبد الرحمن الذي تلقب بالمأمون و كان شابا غير مؤهل للقيام بالحكم السليم و كانت أمه حفيدة لسانشو و هي نصرانية أسمت بعد ذلك ، فلقبوه بشنجول أو سانشو الصغير نسبة لأمه و هذا ما زاد في احتقار و كره الناس له ، خاصة عندما طلب من الخليفة هشام أن يعينه وليا للعهد و فعلا حصل على ذلك ، مما أدى الى ظهور معارضة لحكمه هدفها إعادة البيت الأموي للخلافة ، فأراد عبد الرحمن أن يقوي مركزه بغزوات يقوم بها لمحاربة النصارى فخرج في غزوة

لقشتالة في فصل الشتاء و هذا مخالفا لما كان يقوم به الخلفاء من قبله ، و أثناء رجوعه علم بقيام ثورة في قرطبة حيث هاجم الناس مدينة الزاهرة و نهبوا ما فيها وقتلوا صاحب المدينة عبد الله بن أبي عامر ، كما قاموا بخلع هشام عن العرش و بايعوا أحد أحفاد الناصر و هو محمد بن هشام بن عبد الجبار بن عبد الرحمان الناصر و لقبوه بالمهدي بالله ، و لما وصلت الأخبار إلى عبد الرحمن شنجول تخلى عنه معظم رجاله كما تخلى عنه البربر فأصبح وحيدا غير قادر عن الدفاع عن نفسه فقبض عليه رجال محمد بن عبد الجبار و قتلوه سنة 399 هـ / 1009 م ، و بموته ينتهي عصر حكم الأسرة العامرية بالأندلس .